تواصلية اللغة

دكتور/ عبد الخالق فضل رحمة الله

أستاذ اللغويات المشارك ،جامعة السودان المفتوحة - السودان

البريد الالكتروني: taha44ever@yahoo.com

الملخص:

عرفت الدراسة اللغة عند القدامى والمحدثين، وأوضحت بجلاء أهمية اللغة التي مّيزت الإنسان من الحيوان؛ إذ جعلته ناطقاً مفكراً قادراً على إدارة الحياة وتنظيمها وتطويرها، وتشبها بالكائن الحي، فهي تنمو وتترعرع وتشيب وتموت إذا لم تتوافر لها عوامل الديمومة والاستمرار، وأشارت الدراسة إلى تنوع الوظائف التي تؤديها اللغة في مختلف المجالات، مثل الوظائف الفكرية، والثقافية، والتعليمية، والنفسية، والتواصلية، وغيرها.وتتبع أهمية الدراسة من اهتمامها باللغة نفسها، وبالوظائف التي تؤديها في المجتمع ولاسيما وظيفتها التواصلية. وهدفت الدراسة بشكل أساسي إلى إبراز دور الوظيفة التواصلية للغة في المجتمع، وكانت بدايتها في شكلها البسيط الأولى مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وتطورت عبر العصور، وزادت أهميتها باكتشاف الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. وتعد الوظيفة التواصلية من أهم الوظائف التي تؤديها اللغة، وهي من أهم العوامل التي تصل بين الفرد والجماعة، وبين جماعة وأخرى.وانتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي. وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة ، منها: الاستخدام يقوي ويعزز اللغة، والتواصل من أهم وظائف اللغة، واللغة التواصلية تقوي وتعزز عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.وأوصت الدراسة بدراسة العلاقة بين الوظيفة الاتصالية وتعزيز الوحدة الوطنية.

الكلمات المفتاحية : تواصلية، اللغة ، وظيفة.

Abstract:

This study defines language both for the ancient and the modern, and it cryptically clarified the importance of language which distinguishes humans from animal, which makes him a great think who is able to administer life activities, organizing it, developing it, resembling it to organize living beings, because it (language) grows, evolves, getting old, and dies if the right conditions of it is continuity and the characteristics of the always are not found for it. The study indicates to the well a sorted function which the language serves in all aspects of life like intellectuals, social, cultural, educational, psychological, communicative functions, and others. The importance of the study springs from its concerns with the language itself, and its functions towards the society particularly its communicative function. This study basically aims at portraying to the role of communicative function of language in the community. It used to be simple when man is created and it evolved by the time, and it is importance is increased after when printing is discovered in the middle of the fifteenth century AD. The communicative function of language is considered one of the most important that connects individual and the group, and together with other groups. The study follows the descriptive approach, and it comes to a member of findings, some of which: usage strengths and conditions the language communicative language strengthen and consolidate the factors. The study recommends, that there is a relation between the communicative function of the language and the consolidation of the national unity.

Keywords: Communicative, language, function.

مقدمة

تعد اللغة وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الاجتماعي، وخاصة في التعبير عن الذات وفهم الأخرين، وهي وسيلة مهمة من وسائل النمو، العقلي والمعرفي والانفعالي.

واللغة مظهر من مظاهر السلوك البشري، وشأن من شئون المجتمع بها يتواصل الأفراد والجماعات، وتنقل المعلومات والخبرات من فردٍ إلى فردٍ، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن جيل سابق إلى جيل لاحق، وبها تبادل المشاعر والأحاسيس، وبها يتم الإقناع والفهم والإفهام، ويعدل السلوك.(16،1)

وتكمن أهمية اللغة في أنها أهم مميزات الجنس البشري عن غيره، من المخلوقات التي يتعامل معها في محيط حياته ووجوده على هذه الأرض. واللغة وسيلة التفاهم ووعاء الحضارة، فضلاً عن أنّها ترسخ في عقول أبنائها منذ الصغر أفكاراً وعادات وتقاليد، وهي جماع الثقافة الخاصة بالمجتمع، ومن ثَمّ فإن نظرة الفرد والشعب إلى الحياة والكون والوجود هي غالباً نابعة من إرثه اللغوي، الذي ارتضعه وتربى عليه يوماً بعد يوم؛ لذا كان من الطبيعي أنْ تحظى اللغة باهتمام الشعوب على امتداد التأريخ الإنساني.([2]،[1]) .وتلعب اللغة دوراً ناقلاً للتراث الإنساني بشكل عام من جيل إلى آخر، وهي الأداة التي سجَّلت منذ أبعد العصور أفكارنا وأحاسيسنا ونشاطاتنا، فبها يتم تدوين تراث البشرية، وهي بهذا حلقة الوصل المتنية التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل. واللغة جهاز للمعرفة وبواسطتها يتم اقتناء المعارف، وبالاعتماد عليها يتم حزن هذه المعارف.

تعريف اللغة

وعلى الرغم من أهمية اللغة إلا أن العلماء القدامى منهم والمحدثين قد اختلفوا في تعريفها وبيان أهميتها، ويرجع سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم والمعارف، ومن أبرز تلك التعاريف تعريف ابن جني (ت392هـ) إذ حدها بقوله :((أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم))([3]،[4]) وهذا تعريف دقيق يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة، حيث أكد ابن جني الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع، وتختلف اللغات باختلاف المجتمعات التي تتحدثها، فلكلِّ قوم لغتهم.

فتعريف ابن جني دقيق، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، ويبين أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير، ونقل الفِكر في إطار البيئة اللغوية.(4،19)

وعرّفها ابن خلدون بقوله: ((اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني،فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمّةٍ بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد)) (5،11)

وعرّفها المحدثون بأنها ((نظام صوتي ذو مضامين محدودة، تتفق عليه جماعة معينة، ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم)).(6،3)

وعرفها عمايرة بأنها: ((نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع، تخضع هذه الأصوات للوصف، من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها جهاز النطق، ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية)).(7،5)

---

[1] مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، د. محسن علي عطية، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1428هـ-2008م، ص 16

[2] التراث والأمة، أكرم العمري، مطابع الدوحة الحديثة 1406هـ، ص75.

[3] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الأستاذ: محمدعلي النجار، الطبعة الأولى، دار الكتب، القاهرة، مصر 1952م1،33/1956.

واللغة عند أوتويسبرسن نشاط إنساني ((وهي ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس، من جانبٍ في مجهودٍ عضلي يقوم به فردٌ من الأفراد، ومن جانب آخر عمليةٌ إدراكيةٌ ينفعل بها فردٌ أو أفراد آخرون)) [8،20].

ويرى أدوارد سابير أن اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقاً، لتوصيل الأفكار والأفعال والرغبات، عن طريق نظامٍ من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية. [9،15]

فاللغة نظام عرفي، مكون من رموز صوتية عندما تكون منطوقه، أو رموز مكتوبة عندما تكون مكتوبة، وإنَ هذه الرموز المتعارف عليها بين أفراد أمَة معينة أو مجتمع معين يستعملها أفراد ذلك المجتمع، أو تلك الأمة للاتصال ببعضهم، والتعبير عن أفكارهم . [10،16]

وعُرِّفت اللغة بأنها نظام عرفي مكون من رموز وعلامات، يستغلها الناس لاتصال بعضهم ببعض والتعبير عن أفكارهم.

فاللغة هي وعاء الفكر، والمحددة لملامحه الخاصة والعامة، والمؤثرة في حاضره ومستقبله، وتنمو وتتطور وتزداد مفرداتها، وتقبل مفردات جديدة، ويمكن أن تندثر منها مفردات فلا تستعمل في الكلام، وهي متطورة على مستوى الفرد والأمة؛ لأنها تعكس تطور الفرد وتطور الأمة، لذلك يقال إن اللغة عنوان أهلها تتطور بتطور أهلها وتنحسر بانحسارهم.

ويعزز ذلك قول ((اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتُحفظ فيه، وتُنقل بوسطاته أفكار الشعوب، إنّ اللغة تخلق العقل أو على الأقلِ تَؤثِّر في التفكير تأثيراً عميقا، وتسدده وتوجِّهه توجيهاً خاصاً، ولغة الشعب تتمثل في كُلِّ روحِ الشعب نفسه، إنّ لغة الآباء والأجداد بمثابةِ مستودعٍ لكلِّ ما للشعب من ذخائر الفكر، والتقاليد والتاريخ، والفلسفة، والدين، إنّ قلب الشعوب ينبض في لغته، إنّ روح الشعب تمكن في لغة الآباء والأجداد)) [11،8]. وتتجلى أهمية اللغة في أنها ميّزت الإنسان من الحيوانات؛ إذ جعلته ناطقاً مفكراً، قادراً على إدارةالحياة، وتنظيمها، وتطويرها، وتسخير مخلوقات الطبيعة لخدمة الحياة الإنسانية، فهي نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، خص بها الله عز وجل الإنسان دون مخلوقاته الأخرى، فكملت بها نعمة العقل، مما أتاح ذلك للإنسان السيطرة على إدارة الحياة، وصنعها وقيادتها وتطويرها، وتسخيرها لخدمة حاجاته واتجاهاته. ولا يمكن تصور الحياة الإنسانية من دون تفاعل الناس وتفاهمهم، وتبادل الأفكار، وتناقل المعارف والخبرات بين الناس من جيل إلى جيل، وتكوين الاتجاهات والقيم والعادات، ووسيلة ذلك كله الاتصال والتفاهم الذي لا يحدث كما ينبغي بغير اللغة. واللغة كالكائن الحيّ، فهي تنمو وتترعرع وتشب وتموت، إذا لم تتوافر لها عوامل الديمومة والاستمرار، وهي تستمد كل هذا من مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وإنّ تطورها واضمحلالها مرتبط بتطور وتدهور المجتمع حضارياً وإنتاجياً.

وظائف اللغة

اهتم علماء اللغات والاجتماع والفلسفة ومنذ وقت مبكر بدراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها اللغة، وتقديم النماذج المختلفة لكيفية تأدية هذه الوظائف.

وتتنوع وظائف اللغة في مجالات وأبواب مختلفة، فهي تسهم بشكلٍ نشط في عمليات: التفاهم، والإبلاغ، والتواصل بين البشر، ولها دور إساسي في صناعة الحضارة الإنسانية، وإطلاق عجلات التقدم والارتقاء بها إلى حالات أفضل، ولا يمكن لبني البشر أن يتفاعلوا ويمارسوا حياتهم الاعتيادية إلا باستخدام اللغة، فحاجة البشر إلى اللغة كحاجاتهم إلى ضروريات الحياة الأخرى.

فاللغة شأن أساس من شئون المجتمع، وتمكن أهميتها في الوظائف التي تؤديها في حياة الإنسان والمجتمع، ولها وظائف متعددة ومختلفة، وقد حاول العديد من العلماء والباحثين تحديدها وتصنيفها؛ إذ يرى علماء الفكر والفلسفة أنها وسيلة للتواصل ومساعد آلي للتفكير، وأداة للتسجيل والرجوع. [12،9]

أما بوهلر * فيرى أن للغة ثلاث وظائف أساسية، وهي وظائف اعتمدها العالم الروسي ياكوبسون وأكد عليها، والوظائف الثلاث، هي:

1- الوظيفة التعبيرية:

وهي التي يعبر فيها الكاتب أو المتكلم عن مشاعره بغض النظر عن الاستجابة، وتظهر هذه الوظيفة في الشعر الغنائي والأدب القصصي والمسرحي، فضلاً عن البيانات الرسمية كالمراسلات والوثائق السياسية، أو القانونية والأعمال الفلسفية العلمية الموثقة.

2- الوظيفة الإعلامية:

وجوهرها المقام الخارجي أو حقائق الموضوع، وتتمثل في الصيغ الإعلامية في المقررات الدراسية، والتقارير الفنية، أو المقالات الصحفية، وأوراق البحث العلمي، والأطروحات الدراسية، وغيرها.

3- الوظيفة الخطابية:

وجوهر هذه الوظيفة هو جمهور القراء والمخاطبين، وتتعلق بمخاطبة الجماهير، وأهم شيءٍ فيها هو ردَ الفعل الذي يقوم به المتلقون[13،21].

ويرى آخرون إنَّ وظائف اللغة عديدة، أهمها:

الوظيفة الفكرية

تعد اللغة أداة التفكير لدى الإنسان، بها يؤدي العقل الإنساني جميع وظائفه من إدراك وتخيل وتحديد علاقات، فالصلة بين اللغة والفكر قوية، إذ يقول سقراط: إن الألفاظ هي مفتاح التفكير، ورأي واطسون أن التفكير هو اللغة، وعندما يفكر الإنسان يتكلم من دون صوت، كذلك رأي طه حسين إننا نفكر باللغة، وأن اللغة أداة التفكير. فاللغة مفتاح التفكير، وتؤدي دوراً مهماً في تكوين المفاهيم والمدركات الكلية، والعمليات العقلية مثل: التحليل والتصميم والتجريد والحكم والاستنتاج، فهي وعاء الفكر.[14،16]

فالعلاقة بين الفكر واللغة هي علاقة متينة؛ إذ إن بينهما ارتباطاً عضوياً، فالفكر مختزن في عقل الإنسان، ولكي يخرج الإنسان أفكاره إلى حيز الوجود فلا بد من قالب يصب فيه تلك الأفكار، ومن الثابت أن عملية التفكير في حد ذاتها لا يمكن أن تكون إلا باستخدام ألفاظٍ دالةٍ على معانٍ محددة تساعد على إتمامها.[15،21]

وتسهم اللغة بقدر كبير في دعم عمليةُ التفكير والتأملات والمراجعات الفكرية لدى كل فرد من أفراد المجتمع، وتسهم كذلك في تقديم الحلول لمختلف المشاكل التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية. فاللغة ضرورية للإنسان حيث تمكنه من صياغة أفكاره، وتحديدها، وترتيبها، والإفصاح عنها، ونقلها إلى الآخرين.

الوظيفة الاجتماعية

تعد الوظيفة الاجتماعية من أهم وظائف اللغة إذ يفهم الناس معنى حديث بعضهم لبعض، وتستخدم في التواصل الحياتي الذي يتطلب استخدام اللغة في استماعٍ وتحدثٍ وقراءةٍ وكتابةٍ، وهو مناط هذه الورقة.

الوظيفة الثقافية

تتجلى الوظيفة الثقافية للغة في الحياة بتسجيلها التراث الإنساني، ونقله من جيل إلى جيل، ومن أمة إلى أمة، فاللغة تسجل كل تراث حضاري، وتنقله من الماضي إلى الحاضر، وتعمل على وصل حاضره بمستقبله. ولولا اللغة ما استطاع الإنسان حفظ تراثه وتسجيله، ونقله إلى الآخرين ممن يفصله عنهم المكان والزمان.

لذلك؛ فأن اللغة تُعد من أفضل وسائل حفظ التراث الإنساني ونقله، وأكثرها قدرة على استيعابه، فهي مرآة الأمة وحافظ تراثها، ودليل رقيّها.

وهي سبيل الحضارة بما توفره للأجيال اللاحقة من تراث تؤسس عليه، لتتكامل الحضارة وتتواصل فتتطور.

وإذا كانت الحضارة تمثل مجموعة القيم والنظم التي تحكم العلاقات بين أبناء الأمة، فإن اللغة هي التي تمكّن الإنسان من المحافظة على تلك القيم والنظم والعادات، خاصة بعد معرفة الإنسان الكتابة، فاللغة حفظت تراث الماضي، ومكّنت اللاحقين من الإفادة من فكر السابقين وتجاربهم والبناء عليها.[16،16]

إنّ حضارات الأمم في الواقع تقاس بدرجة ثقافة أفرادها، وبمقدار مالديها من معالم التراث الثقافي والحضاري. والحضارة هي مجموعة القيم والنظم التي يتمسك بها الإنسان والمجتمع.

الوظيفة التعليمية

تعد اللغة وسيلة للتعليم والتعلم، وبها يُعلّم المعلمون المتعلمون، وهي الوسيلة التي يعتمد عليها في تحصيل المعارف والخبرات، والقيم والأبحاث؛ لذا فهي وسيلة تعليمية تربوية تتقدم على جميع الوسائل الأخرى. واللغة لا تدرس على أنها هدف مقصود لذاته، بل هي وسيلة لبلوغ هدف أسمى وأعظم، ألا وهو تربية الأجيال، وإعدادها إعداداً يتلاءم مع ظروف الحياة وتطورها.

الوظيفة النفسية

تهدف الوظيفة النفسية إلى جعل الإنسان قادراً على النطق والتعبير عما يريده دون خجل أو خوف أو اضطراب، فهناك مواقف حياتية كثيرة يكون الإنسان فيها محتاج إلى إقناع الآخرين والتأثير فيهم، لحملهم على أن يسلكوا السلوك الذي يريده، ووسيلته في ذلك اللغة.

وعن طريق اللغة يتأثر بالآخرين، ويشاركهم وجدانهم وأحاسيسهم، فالوظيفة النفسية للغة تتمثل فيما يأتي.[17،16]

أ. إشباع حاجات الفرد النفسية عندما يستطيع التعبير عنها بوساطة اللغة.

ب. إغناء الفكر وتذوق الجمال في التراكيب اللغوية ومعانيها، فاللغة تسمح لمستخدميها أن يشبعوا حاجاتهم النفسية، وأن يعبروا عن حاجاتهم ومايريدون الحصول عليه في البيئة المحيطة، وهناك من أطلق على هذه الوظيفة الوظيفة النفسية أو وظيفة (أنا أريد).[18،12]

حيث تسهم اللغة في عمليات التنفيس، والتخفيف، من حدة الضغوط والانفعالات والحالات النفسية الداخلية المختلفة، التي يعاني منها الفرد، وغالباً ما يحس الفرد بالارتياح النفسي والهدوء حين يخفف عن هذه الضغوطات والانفعالات. وغيرها، بالتعبير عنها بكلمات يطلقها لتعكس ما يدور في داخله من أفكارٍ وأسرار وأحاسيس ومشاعر...إلخ.

الوظيفة التواصلية

إن للغة وظائف عديدة ذكرت الدراسة بعضاً منها إلا أن أهم وظيفة للغة، هي الوظيفة التواصلية، حيث إن اللغة ذات أهمية كبرى في كونها أداة الاتصال بين الناس، ووسيلة للتفاهم بينهم، وتبدو هذه الأهمية حين يعيش الناس زمناً في مجتمع لا يعرفون لغته، فيشعرون بالعزلة عن هذا المجتمع. وتستخدم اللغة للتفاعل مع الأخرين مع العالم الاجتماعي في المناسبات والاحترام والتأديب مع الأخرين.

وباللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصاً بعد الثروة التكنولوجية الهائلة، واللغة هي وعاء المعرفة، وهي الوسيلة الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب، وبث المشاعر والأحاسيس.

وإن للغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة، فهي الأداة التي تحمل الافكار وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، واللغة هي الترسانة التي تحمي الأمة، وتحفظ هويتها وكيانها ووجودها، وتحميها من الضياع والذوبان في الحضارات والأمم؛ لأن الإنسان يعيش عيشة جماعية مع مجموعة من الجنس البشري، تربطه بهم عوامل متعددة: من النسب، والجوار، ووحدة الأهداف، والآمال، ومن ثَمَّ فهو في أشد الحاجة إلى التفاهم مع هذه المجموعة لتستقيم حياته، وتنتظم أموره، ولذلك لا يمكن أن تجد مجموعة من الناس تستغنى عن وسيلة التفاهم بينهم.

لذلك جهدت المجموعات البشرية- منذ العصور التأريخية القديمة - في سبيل الوصول إلى التفاهم المنشود، فاتخذت الإشارات، والحركات، والأصوات، والرموز، وسائل تعينها على تحقيق هذا التفاهم بينها.

ونلحظ أن اللغة انتقلت من الأصوات إلى المقاطع، ثم إلى الألفاظ، وإحكام الألفاظ، ودقة الدلالة على المعاني.

ووظيفة اللغة هي تحقيق الاتصال، وعن طريق هذا الاتصال يدرك الإنسان حاجاته؛ إذ تعد اللغة بشقيها اللفظي وغير اللفظي، الأداة الفاعلة في عملية التواصل البشري، وعن طريقها تتحقق المصالح، ويتم الاتصال بين الأفراد والمجتمعات، واللغة هي أداة الاتصال والتفاهم بين أبناء البشر، وهي آية من آيات الله العظمى، يقول الله تعالى: ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)).(الروم، 22) ؛ لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي ينطق ويعبر عمّا في ضميره بلغته في كل مواقفه الحياتية، ويعبر بها عن أحاسيسه ومشاعره وأحلامه وآماله وآلامه وأفراحه وأخزانه، وكل ما يجيش بخاطره. ويتواصل باللغة مع الآخرين في مجتمعه. وتعد الرموز اللغوية ودلالاتها الروابط التي تحمل المعاني المتفق عليها بين المتواصلين، والتي تمكنهم من التفاهم مع بعضهم البعض، وعن طريقها يتمكن الفرد من فهم آراء الآخرين ومعرفة رغباتهم، وبها يستطيع التعبير عن آرائه وحاجاته وآماله وآلامه.

وأشار عدد من علماء اللغة في تعريفاتهم للغة إلى وظيفتها التواصلية، ومن هؤلاء: * دي سوسير حيث عرفها بأنها: ((نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته)). (19،17) ويتضمن هذا التعريف عدة مسائل، وهي: الطبيعة الصوتية للغة، وأن اللغة اصطلاحية توافقية، وهي وسيلة اتصال إنسانية جماعية، وتكتسب سماعا بوساطة التنشئة من المجتمع الذي نشأ فيه الفرد.[1] وأشار كذلك إلى وظيفة اللغة التواصلية روي سي هجمان بقوله: ((للغة قدرة ذهنية مكتسبة، يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما)). (20،6)

وذهب إدوار سابير إلى أن ((اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقاً، لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات، عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية)). (21،18)

إن وظيفة اللغة التواصلية تعطي لمستقبل اللغة الطبيعية إمكان التواصل، وإمكان توظيف العبارات في المقامات المناسبة.

وينظر علماء الاتصال إلى اللغة على أنها أهم نسق من بين العلامات وأدوات التواصل التي عرفها الإنسان، والتي تساعد على التفكير والتعبير عن الذات، كما يظهر دور اللغة في العملية التواصلية بقدرتها في إفهام الجمهور، ونقل المعلومات والأفكار، الشيء الذي يزيد من أهميتها في عملية الإعلام. (18،12)

* العالم اللغوي السويسري.

وتعد الوظيفة الأساس للغة هي وظيفة إعلامية وقد حققت اللغة مجموعة مصالح إنسانية لاحصر لها، منها: أنها مكنت الإنسان من القدرة على تطوير الأفكار، وتأطير عناصر البحث العلمي، وأسهمت بقوة في نشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها، وتطورها، ونظمت مستوى النشاط الكلامي، وشكلت اللغة نسقاً من العلاقات التي تساعد على التفكير والتعبير عن الذات. وهي أداة ذات قدرة فائقة على التأثير والإقناع ونقل المعلومات، و أنها أداة للاتفاق على الدلالات التي تحملها البنى الكلامية، ومن أكثر الانجازات التي تسجل للغة هي أنها حفظت تاريخ البشرية، واستطاعت أن تسجيل لنا تجارب الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والفكرية.[23،22]

والاتصال نفسه قديم قدم التاريخ، فقبل أن تُعرف اللغات كان الاتصال قائماً بين البشر، وقائماً بين المخلوقات الأخرى فيما بينها، ولكل حيوانٍ تواصل خاص بجنسهِ من باب التعايش والتكاثر والدفاع عن النفس، إلا أن الإنسان وهو أرقى المخلوقات فقد كان بحاجة للاتصال باللغة. فاللغة هي أهم عناصر الاتصال بين البشر.

وتؤدي اللغة وظيفة نقل المعلومات، وتبادل المعرفة والمشاعر والأخبار، وإرساء دعائم التفاهم ودعائم الحياة المشتركة بين البشر، وتخدم عملية التواصل اليومي بين أفراد المجتمع.

لقد بدأت قدرة اللغة على التواصل في شكلها البسيط مع وجود الإنسان على الأرض، إلا أن هذا الدور تطور عبر التاريخ، فقد كان لمعرفة الكتابة أثر كبير في حفظ تاريخ الإنسانية وتراثها الثقافي، وازدادت أهميتها باكتشاف الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، حيث جعلت من اللغة وسيلة إعلامية فاعلة؛ إذ قامت بدور مهم في التأثير على حركة الحياة في جميع مناحيها، ثم اكتسبت اللغة مهمة أكثر شيوعاً وعمقاً في العملية الاتصالية باختراع (الراديو) في بداية العشرينات من القرن العشرين، وتشعبت مهام اللغة كأداة إعلامية باختراع التلفاز قبل بداية الحرب العالمية الثانية، فتوسعت مجالات استخدامها حسب جنس الوسيلة المستخدمة فيها [24،22].

فثورة الاتصال الإعلامي التي جعلت الواقع أصغر من الحقيقة، برزت الصلة الوثيقة بين اللغة ودورها في عملية الاتصال، باعتبارها أداة تبليغٍ وتعبيرٍ وتقويمٍ وتأثيرٍ على سلوك الأفراد، وإقناع وإثارة وجدل، وإعلان، ونشر ورصد للبيئة ومراقبتها وغير ذلك.[25،22]

ومن وظائف اللغة التواصلية: أن اللغة توضح موقف الإنسان من الحياة بشكل عام، ومن أخيه الإنسان بشكل خاص، وأنها تساعد على طرح أفكارٍ أو عواطف بين المتحدثين، وقد تساعد على إقامة علاقة كلامية بين شخصين، من ذلك مثلاً، قولنا: لمن لا نعرفه وقابلناه قدراً كيف حالك؟ لماذا لم أعرفك من مدة طويلة؟ ... إلخ. والتواصل مهم جداً لأنه ينقل إلينا المعاني، فاللغة تسمح لمتكلميها بأن يتكلموا عن أيّ شيء يشعرون به، أو يريدون الحديث عنه بشرط أن يكون ذلك في نطاق معارفهم.[26،10]

لذلك تعد اللغة من أهم عوامل الربط بين الفرد والجماعة، وبين جماعة وأخرى، وتتمثل الوظيفة التواصلية للغة في عدة محاور، أهمها:

التعبير عن الآراء المختلفة في مجالات الحياة المختلفة، مثل: السياسة، والدين، والأمور الاجتماعية، والتعبير عن المشاعر، والأحاسيس تجاه الآخرين، وفي المجاملات الاجتماعية، والتعبير عن حاجات الإنسان المختلفة، والتأثير في عقول الآخرين وعواطفهم، وإقناع الآخرين بما يريد، ولذلك فإن اللغة تعد من أهمّ ماتوصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم والتعايش الاجتماعي، فاللغة التواصلية تؤدي دوراً رئيساً في اندماج أبناء المجتمع، إذ لا يمكن أن يندمج الفرد في المجتمع مالم يتمكن من اللغة، ويكتسب مهاراتها، زيادة على دورها في التواصل بين الأمم والمجتمعات، الذي كان سبباً أساسياً فيما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في العصور المختلفة.[27،16]

وللغة الإنسانية دور مهم في التواصل بين الجماعات والأفراد والشعوب التي تنتظمها هذه الأمة، وفي استخداماتها على المستوى الثقافي والأدبي والعلمي، وكذلك التواصل الاجتماعي والثقافي بين الأمة وغيرها من الأمم، من حيث ترجمتها إلى اللغات الأخرى، وترجمت اللغات الأخرى اليها.

واللغة مرآة المجتمع، تعكس كل مظاهره: من حضارة ورقيّ، أو تخلف وتأخرٍ، فهي شديدة الصلة بكل نواحي المجتمع، لذلك نالت اللغة اهتمام اللغويين من زاوية أنها ظاهرة اجتماعية تواصلية.

ويرى أولمان: أنّ هناك ثلاثة عناصر يتضمنها أيّ حدث لغوي، هذه العناصر، هي: المتكلم والسامع والرسالة المرغوب في توصيلها.[28،7]

إن اللغة التواصلية من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة، فهي القادرة على تحويل الإنسان إلى كائن حيّ اجتماعي يتحسس الواقع، ويستشرف الخصائص المميزة التي تكمن في كل إشارة من إشاراتها ودلالة من دلالاتها، وهي بالتالي تجعل من الأمة الناطقة بها كلّاً متماسكاً ومتراصاً، تحكمه قواعدها وأصولها، وتوحد تفكيرهم أساليبها وطرائقها، ومن هنا أصبحت اللغة بمثابة الرابطة الحقيقية التي توحد بين رغبات أفراد الأمة ومطامحهم، وتعيش في أفكارهم فكراً وأملاً وحياة.[29،4]

ويتمكن الإنسان باستخدامه للغة التي يتواصل بها من التعبير عن أفكاره، وأحاسيسه، ومشاعره؛ وما يختلج في نفسه، فهي باختصار تستخدم للتعبير عن حاجات الفرد والمجتمع المختلفة، باللغة يقوم المتكلم أو المُرسل بالتعبير عما يريده، بالأصوات والإشارات والحركات الإيمائية التي تسمح بها اللغة المستخدمة، أي أسلوب التعبير المباشر لطرح الحقيقة أو التعبير عنها بشكل مجازي، وهو يعبر بذات الوقت عن شخصيته بالحيويّة التي يستخدم فيها المفردات اللغوية.

النتائج

1. الاستخدام يقوي ويعزز اللغة.
2. التواصل من أهم وظائف اللغة.
3. استخدام اللغة القومية يعزز الشعور بالوحدة.
4. اللغة تحفظ التراث الإنساني وتنقله من جيل إلى أخر.
5. اللغة مرآة المجتمع تعكس كل مظاهره وتطوره.
6. هناك تشابه وتداخل بين وظائف اللغة.
7. اللغة التواصلية تقوي وتعزز عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

التوصيات

1. الاهتمام بدراسة اللغات.
2. دراسة العلاقة بين الوظيفة الاتصالية وتعزيز الوحدة الوطنية.
3. دراسة الوظيفة الإعلامية للغة.
4. دراسة الوظيفة النفسية للغة.

الخاتمة

اهتمت هذه الدراسة بإبراز الوظيفة للغة، فبدأت بتصريف اللغة عندالعلماء القدامى والمحدثين، وبينت أهمية اللغة ووظيفتها وطبيعتها، وأشارت إلى ارتباطها بالعلوم والمصارف الأخرى. وتناولت الدراسة وظائف اللغة، حيث أشارت إلى اهتمام علماء اللغة والاجتماع والفلسفة ومنذ وقت مبكر بدراسة الوظائف التي تؤديها اللغة، وتقديم النماذج المختلفة لكيفية تأدية تلك الوظائف. وتختلف نوعية الوظيفة التي تقوم اللغة بإنجازها، اعتماداً على أهميتها ومكانتها والدور الذي تؤديه، وتتوزع وظائق اللغة في عدة مجالات عدة. وركزات الدراسات بشكل رئيس على الوظيفة التواصلية اللغة، وهي تسهم بشكل نشط في عمليات التفاهم والإبلاغ والتواصل بين البشر ، ولها دور أساسي في صناعة الحضارة والإنسانية والتطور والتقدم والإرتقاء للإفراد والمجتمعات. ولايمكن لبني البشر أن يتفاعلوا ويمارسوا حياتهم الاعتيادية إلا بالتواصل اللغوي، فحاجة البشر إلى اللغة مثل حاجتهم إلى ضروريات الحياة الأخرى.

المصادروالمراجع

1. العمري، أكرم، *التراث والأمة*، مطابع الدوحة الحديثة، 1406 هـ
2. رأيت، تشارذر، *المتطور الاجتماعي للاتصال بالجماهير* (ترجمة: محمد فقي)، دار المعرفة الدار البيضاء، المغرب.
3. أمين، جلال، *العولمة والتنمية العربية*، مركز درسات الوحدة العربية بيروت، 1999م.
4. يوسف، د. حسين عبدالجليل، *اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة وخصائصها ودورها الحضاري وانتصارها*، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر، 2007م.
5. عمايرة، خليل أحمد، *في التحليل اللغوي*، مكتبة المنار بيروت، 1987م.
6. هجمان، روي سي، *اللغة والحياة الطبيعية البشرية*، (ترجمة د. داؤود حلمي أحمد السيد)، جامعة الكويت، 1409هـ.
7. أولمان، ستيفن، *دور الكلمة في اللغة*، (ترجمة: د. كمال بشر)، مكتبة الشباب، 1975م.
8. أولمان، ستيفن، *اللغة بين القومية والعالمية*، دار المصارف القاهرة، 1970م.
9. خضر السيد/ *اللغة العربية مشكلاتها وسبل النهوض بها*، لم يذكر مكان النشر 2003م.
10. حسين، د. صلاح، *اللسانيات وعلم اللغة المعاصر وعلاقته بالعلوم الإنسانية*، دار الكتاب الحديث القاهرة 1428هـ.
11. ابن خلدون، عبدالرحمن، *مقدمة ابن خلدون*، دار الطباعة، القاهرة، 1967م.
12. السفاسفة، عبدالرحمن، *طرائق تدريس اللغة العربية*، مركز يزيد للنشر عمان الأردن، 2004م.
13. شرف، عبدالعزيز ومحمد خفاجة، *النحو لرجال الأعمال*، الهئية المصرية العامة للكتب القاهرة.
14. ابن جني، أبوالفتح عثمان، *الخصائص*، (تحقيق: محمد علي النجار)، دار االكتب القاهرة، 1952-1956م.
15. بشر، كمال محمد، قضايا لغوية،دار الكتب مصر.
16. عطية، د. محسن علي، *مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها*، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان الأردن، 1428 هـ 2008م.
17. داؤود، محمد محمد، *العربية وعلم اللغة الحديث*، دار غريب للطابعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م.
18. السعران، د. محمود، *اللغة والمجتمع رأي ومنهج*، المطبعة الأهلية بنغازي، 1958م.
19. حجازي، د. محمود فهمي، *المدخل إلى علم اللغة*، مكتبة الثقافة القاهرة، 1978م.
20. يوسف، جمعة سيد، ((سيكولوجية اللغة والمرض العقلي))، *سلسلة عالم المعرفة*، 145، 1990م.
21. الحمداني، أ.د خديجة زياد ود. محمد ضياء الدين خليل، ((اللغة العربية وتحديات العولمة))، *المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية دبي*، 1، 1434هـ/ 2013م.
22. عمر، د. عماد الدين تاج السر فقير، ((اللغة العربية ووسائط الإعلام المتعددة))، *المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية دبي*، 1، 1434هـ/ 2013م.